

تفسير أبي السعود

147 - آل عمران .

للكل وإن جعلاً للبعض الباقيين بعد ما قتل الآخرون كما هو الأنسب بمقام توبيخ المنذلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءة الأخرتين فإن أسند الفعل إلى الربيين فالضميران للباقيين منهم حتماً وإن أسند إلى ضمير النبي كما هو النسب بالتوبيخ على الإنخزال بسبب الإرجاف بقتله E فهما للباقيين أيضاً إن اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع إن اعتبر كونهم معه في القتال .

وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين .

وما استكانوا أي وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والألف من إشباع الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والإنكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والإرجاف بقتل النبي وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بأبي المنافق في طلب الأمان من أبي سفيان .

وإن يحب الصابرين أي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين إما المعهودون والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والإشعار بعلّة الحكم وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً والجملة تذييل لما قبلها .

وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها في قوله تعالى .
إلا أن قالوا والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء ما كان قولاً لهم عند أي لقاء للعدو واقتحام مضايق الحرب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والأحوال شئ من الأشياء إلا أن قالوا .
ربنا اغفر لنا ذنوبنا أي صغائرنا .

وإسرافنا في أمرنا أي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين براء من التفريط في جنب الله تعالى هضماً لها واستقصاراً لهمهم وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم .

وثبت أقدامنا أي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق .

وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له إلى حيز القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراسد الدين وفيه من التعريض بالمهزمين مالا يخفى وقرا ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على أنه الاسم والخبر أن وما في حيزها أي ما كان قولهم حينئذ شيئا من الأشياء الا هذا القول المنبئ عن أحاسن المحاسن وهذا كما ترى أقعد بحسب المعنى وأوفق بمقتضى المقام لما ان الإخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلا كما تفيدته قراءتهما اكثر إفادة للسامع